من المسئول ؟

قالت الصحف فى رواية الخبر :

إنه شاب مغامر ، يتعقب النساء فيخدعهن بعهد الوفاء ولا عهد له ، وكانت الفتاة فى طريقها الى غايتها ، فلما رآها ورأى ما بها من جمال وفتنة هاجت كوامنه ، وتحركت بين شدقيه نيوب الوحش الجائع يرى الفريسة فيطاردها حتى تحملها أظافره الى ما بين شدقيه .

وفيما دون يوم وليلة ، عرف بيتها فلم يلبث أن دخله خاطبا ، وكان أمر الفتاة بيد أمها إذ لم يكن أبوها بين الأحياء ، فلم تلبث الأم وفتاتها أن رضيتاه صهرا كريما وزوجا موفقا ، ذلك لأنه عرف كيف يخدعهما بما زور لنفسه من نسب رفيع وغنى عريض وجاه موفور .

وبعد زمن اقترح أن يتم عقد الزواج فى بيته هو لا فى بيت الفتاة وأهلها ، ولم يعجزه خبث الطبع عن أن يخدعهما فى هذا الاقتراح أيضا ، وكانت الفتاة — قبل أن تصبح له زوجة شرعية — تتردد عليه وتغشى معه الملاهى وسواها بحجة أنها مخطوبته وأنه خاطبها !

ولما حانت ليلة عقد الزواج ذهبت الأم وفتاتها الى البيت الذى ادعى أنه بيته ، وكان هناك ثلاثة أشخاص زعم أحدهم أنه المأذون دعاه الشاب ليعقد له على عروسه ، وزعم الآخران أنهما شاهدا العقد ، وحينئذ تم العقد على الصورة التى كان الشاب يضمرها وهى الصورة التى فهمتها الفتاة وأمها صورة عقد استوفى شروطه الشرعية والرسمية .

ثم قالت الصحيفة فى رواية الخبر :

ودامت معاشرة الزوجين ثلاث سنوات أعقبا فيها بنتا نسبت الى أبيها وثبت اسمها فى دفتر المواليد منسوبة اليه ، ثم حدث الخلاف ووقعت الفرقة فاذا هو ينكر زوجية الزوجة وبنوة البنت بل ينكر أنه عرفهما قط ، وإذا هى وأمها يصابان من غصتهما بما يخرق القلب ويشق المرارة لولا أن تعلقا من خيوط الأمل بمثل ما يتعلق به الغريق ، فطلبا لإثبات بنوة الطفلة أن يحلل دمها ودم هذا الأب الذى أنكرها خبث طبعه .

هذه واقعة روتها إحدى الصحف فيا ترويه كل يوم من النظائر والأشباه ، فأين تكون التبعة فيما تضمنته من شر وبلاء ؟

هل يصح للفتاة أو لأهل الفتاة أن يقبلوا أى طارق يطلب الزواج ؟ فاذا قبلوه من غير أن يعرفوه على حقيقته ثم ظهر أنه دجال أو مغامر أو طالب صيد فعلى من يقع أكبر اللوم ؟

الجواب فى صميم الطبيعة المصرية ، فهـذه الطبيعة لا تزال تملى على أهلها حكمة المثل القائل : ان المفرط أولى بالخسارة .

وهل يصح للفتاة أن تبرز الى الطريق العام فى تبرج يضيف الى فتنة الجمال فتنة الشيطان فتواجه بذلك عيون الرجال والشبان، وهى تعلم أن تسعة أعشار هذه العيون نهابة خوانة، فاذا فعلت ذلك أو تركها أهلها تفعله ثم وقعت فى شرك النهب والخيانة فمن هنالك يستحق اللوم الأكبر ؟

الجواب أيضا فى صميم التقاليد المصرية ، فهذه التقاليد لا تزال توصى أصحابها أن لا ينسوا حكمة المثل القائل : " من لا خير له فى قديمه لا خير له فى جديده " .

وفى رواية الخبر أن الفتاة لم تمنع نفسها عن مخالطة الشاب والتردد معه على الملاهى ونحوها ، لا لأنه أحد محارمها ولا لأنه أصبح زوجا لها ، بل لمجرد أن ذهب بخطبها لنفسه ثم بقى بعد ذلك اجنبيا منها كما يكون أى عابر فى الطريق ، فاذا استطاع على مدى هذا الاختلاط أن ينفذ بخداعه إلى قلبها فيأخذه بين مخالبه وهى لا تدرى ثم يمزقه بهذه المخالب كما يمزق من سمعتها عزة الشرف الذى تدخره ليومها المرجو وغدها المأمول ، فأيهما إذن هو الأحق بأن يذوق مرارة المغامرة ؟

الجواب فيما شرعه لنا رب العالمين، وفيما أدبنا به سيد المرسلين، فان كتاب الله وسنة رسوله لا يزالان بين أيدينا ، ولا تزال نجد من مخالفتهما الجمر المحرق ، والشقاء المطبق ، والويل العظيم ، والهم الدائم والشر المقيم ...

وليس فى هذا الذى قلناه ابراء للآثم المفسد من ذنبه، كلا : فأقصى ما يقال فيه، إن له طبيعة الوحش ، ولكن بماذا نعتذر للظباء حين لا تكف عن التعرض فى طريق الوحش وحين لا يكف الوحش عن أكلها ، ثم لا تتعظ بالمرة ولا بالمرتين ، ولا بألوف المرات ؟

لقد أصبحت حوادث هذا الباب من وقائع الأيام ، فكل يوم تغرب الشمس منها عن قديم وتطلع على جديد ، والعبرة مفقودة ، والموعظة مردودة ، والضحايا لا تتقى النار المشتعلة ، ولا تريد أن تدرك حرها إلا بعد أن تقع فيها .

وهذه الحوادث طارئة مع الناحية الفاسدة من روح العصر، فقد كانت غريبة على النفس المصرية كما كانت هذه النفس المصرية غريبة عنها ، فخير ما ننصح به الشباب من الجنسين أن يرفعوا عن أبصارهم غشاوة الاغترار بما فى مدنية العصر من جوانب الفتنة والغرور، وأحق ما نقوله للرجال من الآباء والأزواج أن يبحثوا عن ارادتهم ليعرفوا أين ضاعت منهم ، وأن يسألوا عن الرجولة الكاملة أين ذهبت، فسيجدونها أعز وأغلى ما ورثوه عن الآباء والأجداد.